المحاضرة الثامنة: الانسجام مفهومه ومبادئه

الانسجام:

ويعرف أيضا بمصطلح الحبك: "إذا كان السبك (الاتساق) مختصا برصد الاستمرارية المتحققة في ظاهر النّص، فإن معيار الحبك (الانسجام)، يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النّص، ونعني بها الاستمرارية الدّلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم."[i] وللانسجام مجموعة من المبادئ والعلاقات، والتي من خلالها يمكن تحقّقه نذكرمنها:

- السياق.
- مبدأ التغريض.
- مبدأ التشابه.
- مبدأ التأويل المحلي.
- العلاقات الدلالية، وفيها: (علاقة السّبب والنتيجة/ علاقة العموم والخصوص/علاقة الإجمال والتّفصيل...).

1- السّياق:

للسياق المقامي أثر بالغ في تأويل الخطاب، وكلّما توفّرت المؤشرات السّياقية أكثر كلّما كان التّوقع أصدق والتأويل أقرب، لذا لقي هذا الموضوع اهتماما بالغا عند محللي الخطاب وفي مباحث اللسانيات النّصية.

أيضا قول فلمور:"**كلما لفتت انتباهي جملة مستعملة في سياق ما أجد نفسي أتساءل مباشرة عمّا إذا كان وقعها سيكون مختلفا لو حصل تغيير طفيف على السّياق**"[1]

مؤشرات السياق عند هايمز:

يعرض (براون ويول) في كتابهما مؤشرات السياق عند هايمز كما يلي[2]:

[1] - نفسه، ص 45.

- **مؤشرات خاصّة:**

الأشخاص المشاركين في الحدث (الباث/ المتلقي/ المستمعين).

الموضوع المتحدث عنه (محور الحديث).

الظرف (السياق الزماني والمكاني).

- الوضع الجسمي للأطراف المشاركة.

- **مؤشرات عامة:**

- القناة: كيفية ربط حلقة الوصل بين الأطراف المشاركة في الحدث الكلامي (كتابة/كلام/إشارة).

- الشفرة: و اللهجة المستعملة أو الأسلوب.

- صيغة الرسالة: حديث عابر غير رسمي/ مناظرة/حطبة/حكاية/قصيدة...

- الحدث: وهو جزء من الموضوع، أي مرحلة من مراحله، إذ يمكن أن يكون في موضوع واحد عدّة أحداث.

2- التأويل المحلّي:

وهو مرتبط أساسا بالمتلقي ومحاولة فهمه وتأويله للنّص، ويصفه مُحَمَّد خطابي بقوله: "يعتبر تقيدا للطاقة التّأويلية لدى المتلقي باعتماده على خصائص السّياق"[3] أي أن يستبعد المتلقي كل الامكانات التي ليس لها مرجع سياقي في ذلك النّص، وهو ما يوضحه كلّ من بروان ويول إذ يقولان:"إنّ المتلقي مدعو إلى عدم إنشاء سياق يفوق ما يحتاج إليه للوصول إلى فهم معيّن لقول ما، وهكذا إذا سمع شخصٌ ما أحدا يأمره: (أغلق الباب)، فإنه سينظر

---

[2] - ينظر، بروان ويول، تحليل الخطاب، 48/47.

[3] - محمد خطابي، لسانيات النّص، ص56.

إلى أقرب باب متاح إلى الاغلاق، فإذا كان ذلك الباب مغلقا، فمن المحتمل جدّا أن يقول(إنه مغلق) بدلا من البحث عن أبواب أخرى يمكن إغلاقها)"[4].

3- مبدأ التّشابه(القياس):

يعتبر مبدأ التّشابه من المبادئ المشتركة بين واقع الخطاب وتجربة متلقيه الكامنة في ذهن، إذ من خلاله يتمكن من إيجاد تصور يربط – في غالب الأحيان– بين المواقف الحاضرة والمواقف التي مرّ بها سالفا.

إن معرفتنا بالعالم هي التي تمكّننا من فهم الخطاب القائم وتصوّر ما سيؤول إليه هذا الخطاب، وتعتبر تجاربنا السّابقة جزء من معرفة العالم، "**إننا حين نفهم عملا فنّيا عظيما نستحضر ما سبق أن جرّبناه في حياتنا...وتنصهر التجربتان في ناتج جديد هي المعرفة التي يثيرها فينا العمل، وهذه المعرفة ليست كامنة في العمل نفسه، أو في تجربتنا وحدها، ولكنها مركب جديد ناتج عن التفاعل بين تجربتنا الحقيقية التي يجسدها العمل، هذه المعرفة لم تكن ممكنة لولا تجسد تجربة المبدع الوجودية في وسيط ثابت هو الشكل وهو الذي يجعل عملية المشاركة ممكنة**"[5]، فالمسهم في تحقيق المعنى يجسده جزء غائب مستحضر مع جزء حاضر أو متوقع.

4- مبدأ التغريض:

(الشيء الذي يستهل به المتكلم أو الكاتب حديثه يؤثر حتما في فهم كل ما يأتي لاحقًا، هكذا يؤثر العنوان في فهم النص الذي يتبعه. كذلك تحُد الجملة الأولى في الفقرة الأولى ليس فقط من معنى الفقرة ولكن من معنى بقية النص)[6].

---

[4] - براون ويول، تحليل الخطاب، ص71.
[5] - نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص40.
[6] جوليان براون وجورج يول. تحليل الخطاب.(مصدر سابق). ص155.

- **وسائل التغريض** :

_العنوان: نظام سيميائي وعلامة لسانية لها دلالاتها الضمنية والإيحائية يمكن استجلاؤها من خلال النظر في بنية النص بوصفه عملا مترابطا محكوما بعلاقات دلالية ونصية وسياقية[7].

_الفاتحة النصية:(الجملة الأولى/ الفقرة الأولى): تتميز باكتنازها معاني وإشارات وتراكيب نحوية لها وظيفتها المساهمة في التكوين الدلالي للنص؛ إذْ يمكّنها موقعها من الاتصاف بالسببية لمنظومة الجمل القادمة[8].

_تكرير اسم الشخص أو الشيء، أو تكرير جزء من الاسم

_استخدام الضمائر المحيلة إليه

_استخدام ظروف زمانية ومكانية تخدم هذه الشخصية

_تكرير الصفات والأحوال والأفعال المتعلقة بالشخص.[9]

5- العلاقات الدّلالية

- **علاقة السّببية:**

يعرف هيوم هذه العلاقة بقوله:" إن لم يكن الأول قد وُجد فإن الثاني لا يمكن أن يكون قد وُجد أبدا، وظهور السبب ينقل الذهن دائما نقلا بالعادة إلى فكرة النّتيجة"[10] فهي علاقة ذهنية تربط الثّاني بالأول كون الأول سببا والثّاني نتيجة، ونلاحظ هنا أنّ الأولية باعتبار الوجود في الواقع، لأن المتكلّم يمكنه باستخدامات اللّغة أن يذكر النّتيجة أولا

---

[7] ينظر: خالد كاظم حميدي. سيميائية العنوان في القرآن الكريم دراسة من منظور التفسير البلاغي.[البلاغة العربية والمقاربات النقدية المعاصرة الآفاق العلاقات والوظائف]. دط. الجزائر: دار قرطبة، 2016.ص86.

[8] ينظر: مُحَمَّد جاسم الخلف. نحو النص في الخطاب القرآني.ط1. الأردن: دار كنوز المعرفة، 2018.ص 104.

[9] ينظر: براون ويول. تحليل الخطاب.(مصدر سابق).ص158_ص164، و: مُحَمَّد خطابي لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب(مرجع سابق).ص59.

[10] - بشار داود سلمان، (مقال)السببية مفهومها ودلالة النصوص القرآنية عليها، مجلة كلية العلوم الاسلامية، مج 5، العدد9، 2011م، نقلا عن بدوي عبد الرحمان، موسوعة الفلسفة.

ويعقبها بالسّبب، كقولنا مثلا: انطفأ المصباح لأنّ الكهرباء انقطعت. لكن الترتيب الزّمني لهذا الحدث في الواقع، هو انقطاع الكهرباء أولا ثم تلاه مباشرة انطفاء المصباح.

- **العلاقة الزمنية:**

الزّمن من أكثر الأشياء انتظاما ودقّة، بل إنّه المعيار المعتمد لقياس أدقّ الحركات، فهو أحد نواميس الكون التي نظّم بها الله شؤون خلقه، وأسس على حركته نُظم العبادات، من صلاة وصيام وزكاة وحج، فلا يقوم أحد تلك الأركان إلّا اعتمادا على حساب الزّمن، وأي خلل في الحساب يؤثر على صحّة تلك العبادة، ويرتبط نظام الزمن في الخطاب بنظام معرفة الإنسان للعالم في ذهنه، فإذا عارض الخطاب تلك المعرفة وقع خلل وغاب الانسجام والعكس بالعكس.

فقولنا مثلا:

دخلت الطالبة للقاعة، ثم ذهبت مباشرة لمقعدها، ووضعت حقيبتها، عليها ثمّ جلست.

فهنا سندرك مباشرة أنّ الطالبة قامت بعدّة أفعال: وهي (الدخول /الذهاب صوب المقعد/وضع الحقيبة/الجلوس).

يبقى أن نشير أن هناك مجموعةمن العلاقات الأخرى، كعلاقة العموم والخصوص وعلاقة الإجمال والتّفصيلأ وهو ما سيتم التعرض له في مستوى آخر بحول الله.